الرحمة في القرآن الكريم
دراسة تأصيلية موضوعية

إعداد:
د. محمد حامد محمد سعيد
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
جامعة الإنسانية بولاية قدح ماليزيا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن القرآن الكريم كتاب الله ﷻ، تعبدنا بتلاوته، وأعطانا الأجر والثواب على قراءته، وبعث به رسولنا ليخرجنا من الظلمات إلى النور، وأنزله إلينا لنتدبره ونتأمله، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

ومن هذا المنطلق -التدبر والتأمل- نعيش في رحاب المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام الذي ينظمه قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة الملك سعود -تغمده الله برحماته-.

وقد استخرت الله ﷻ في الكتابة في المحور الأول من محاور المؤتمر، وعنوانه (تأصيل خلق الرحمة في الإسلام)، ليكون عنوان بحثي هو (الرحمة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية موضوعية).

ونعني بالدراسة التأصيلية الموضوعية أمرين:

أولهما: التأصيل القرآني للفظة الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم.

وثانيهما: التأصيل اللغوي للفظة الرحمة ومشتقاتها في ضوء المعاجم اللغوية.

وقد جاء البحث مشتملًا على أهداف البحث، ومشكلته وخطته ومنهجه.

أما الأهداف:

فهي كما يلي:

أولًا: دراسة هذا الخلق من منظور جديد، منظور التأصيل القرآني لألفاظه وكلماته.

ثانيًا: حاجة الأمة الإسلامية في الواقع المعاصر لمثل هذه الدراسة للاستفادة بها في الحياة العملية والعلمية، التي تدل على رحمة الإسلام من خلال كلماته وعباراته.

ثالثًا: إظهار أن الأخلاق بصفة عامة، والرحمة بصفة خاصة، لها دور أساسي وثابت في بناء أجيال الأمة الإسلامية، فما تفوق المسلمون على غيرهم إلا بحُسن أخلاقهم، واقتدائهم برسولهم الكريم ﷺ.

رابعًا: دفع الشبهات ورد الافتراءات الموجهة إلي الإسلام وأتباعه، بأنه دين يدعو إلى العنف والتطرف والإرهاب، فالبحث في هذا الجانب والتأصيل القرآني للرحمة رد دامغ وواضح على دفع تلك الدعوات التي تظهر بين الحين والآخر وتفنيدها.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في كثرة ألفاظ مادة الرحمة وتعدد مشتقاتها، التي قربت من ٣٠٠ لفظة، حيث جعلت نطاق البحث ضيقًا، ولا أتحدث إلا عن نماذج من الألفاظ وليس كلها، وهذا يجعل البحث من الصعوبة بمكان.

وأما الخطة:

فقد تضمنت مقدمة، وتمهيدًا، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة -وهي ما نحن بصددها- فتشمل: أهداف البحث، وخطته، ومنهجه.

وأما المبحث الأول: فعنوانه التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم، التي وردت بصيغة الفعل.

وأما المبحث الثاني: فعنوانه التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم، التي وردت بصيغة الاسم والمصدر.

وأما المبحث الثالث: فعنوانه التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم، التي وردت بصيغة أفعل التفضيل.

وأما المبحث الرابع: فعنوانه التأصيل اللغوي لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في ضوء المعاجم اللغوية.

ثم الخاتمة، وبها أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المراجع، ثم الفهرس العام.

وأما المنهج:

فقد سرت فيه على النحو التالي:

أولًا: جمع كل الألفاظ المتعلقة بلفظة (الرحمة) ومشتقاتها، ودراستها دراسة تأصيلية موضوعية، مع مراعاة ذكر اسم السورة ورقم الآية القرآنية الكريمة.

ثانيًا: تناول ألفاظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم من خلال المباحث الثلاثة الأولى.

ثالثًا: التأصيل اللغوي لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في ضوء المعاجم اللغوية، وذلك في المبحث الرابع.

رابعًا: تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتبها الصحيحة، مع ذكر الكتاب والباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث.

خامسًا: عزو الأقوال لقائليها.

سادسًا: معايشة الآيات القرآنية معايشة موضوعية من خلال أقوال علمائنا.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء الصراط.

تمهيد

إن القارئ للقرآن الكريم يرى أن خُلق الرحمة وأصل مادته (رحم) ذُكر في أغلب سوره وأكثر آياته ما يقرب من واحد وثلاثين موضعًا (٣١)، بعدد ألفاظ بلغت ثلاث مائة وتسع وثلاثين لفظة (٣٣٩)، وفي ذلك ما فيه من الدلالة الواضحة على أصالة المادة، وقوة ساقها، وصلابة فروعها.

وسوف نتناول -بعون الله تعالى- التأصيل الموضوعي للفظة الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم والمعاجم اللغوية من خلال المباحث الأربعة التالية:

المبحث الأول: التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها، التي وردت بصيغة الفعل.

المبحث الثاني: التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها، التي وردت بصيغة الاسم والمصدر.

المبحث الثالث: التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها، التي وردت بصيغة أفعل التفضيل.

المبحث الرابع: التأصيل اللغوي لألفاظ الرحمة ومشتقاتها، في ضوء المعاجم اللغوية.

ونستعين الله ﷻ في بيان ذلك وتوضيحه، من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول
التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها التي وردت بصيغة الفعل

ونعني بذلك ورود لفظة الرحمة أو إحدى مشتقاتها فعلًا ماضيًا أو مضارعًا أو فعل أمر، سواء جاءت بصيغة المتكلم أو المخاطب أو الغائب، أو بصيغة الإفراد أو الجمع.

وهاك توضيح ذلك -بعون الله تعالى- فيما يلي

أما ورود لفظة الرحمة أو إحدى مشتقاتها فعلًا ماضيًا: فقد جاءت بصيغة المتكلم والغائب، وبصيغة الإفراد والجمع، ونجلي ذلك فيما يلي:

لفظة ﴿رَّحِمَ﴾ ذُكرت بصيغة الماضي أربع مرات، استعملها سيدنا نوح في أثناء حواره مع ابنه مرة في رحاب سورة هود ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣]، ومرة ثانية استعملها ربنا ﷻ في أثناء الحديث عن الناس، وأنهم ما زالوا في اختلاف مستثنيًا من رحمهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٨-١١٩]، وتارة ثالثة في رحاب الحديث عن النفس الأمارة بالسوء، من خلال سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف]، والموضع الرابع من خلال

سورة الدخان، حيث يقول الله تعالى فيها: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان] وفي هذا الموضع جاء الحديث عن الرحمة من خلال الاستثناء من أهوال يوم القيامة لمن يرحمهم الله ﷻ، فلا رحمة: "إلا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه، وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله العزيز الغالب في انتقامه من الكفار، فلا يُنصر من أراد تعذيبه الرحيم"(١).

ولفظة ﴿رَحِمَهُۥ﴾، وذلك في سياق موضع واحد من خلال سورة غافر بالآية رقم ٩، التي يقول ربنا فيها: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر] حيث وردت الرحمة هنا في رحاب "جملة (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته)، أي: وكل من وقي السيئات يوم القيامة فقد نالته رحمة الله، أي نالته الرحمة كاملة، ففعل رحمته مراد به تعظيم مصدره"(٢).

ولفظة ﴿رَحِمَنَا﴾ الواردة في سورة الملك الآية ٢٨ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ وهذه اللفظة وردت مرة واحدة في أثناء حديث رسول الله ﷺ مع الكافرين، وبيان رحمة الله به وبأمته في النجاة من النار، فقوله تعالى: "﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ يعني: إن عذبنا الله أو رحمنا يعني: غفر لنا، ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: من ينجيهم ويغيثهم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يعني: إن النبي ﷺ قال لهم: نحن مؤمنون بالله، ونتقرب بعبادته إليه، لا نأمن عذابه على معصيته، فكيف تؤمنون مع كفركم به، من عذابه وعقوبته؟، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟ قل هو الرحمن آمنا به، يعني: قل هو الرحمن بفضله وبرحمته، إن شاء عذبنا، وإن شاء رحمنا"(٣).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي٢٥/٢٣٣.
(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للطاهر بن عاشور ٢٤/٩٤.
(٣) بحر العلوم، للسمرقندي ٣/٤٥٦، ٤٥٧.

ولفظة ﴿رَحِمَنَهُمْ﴾ حيث وردت مرة واحدة في سورة المؤمنون في آية رقم ٧٥ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ونلاحظ هنا أن الآية تتحدث عن رحمة الله ﷻ بالعصاة والمذنبين، وكأنهم حتى بعد رحمة الله ﷻ بهم ونجاتهم من غيهم وضلالهم، بعد أن يفيقوا نراهم يرجعون مرة ثانية إلى أصلهم الخبيث، وهو الضلال والغي، ويؤكد هذا المعنى صاحب الظلال، حينما يقول: "هذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس، القاسية قلوبهم، الغافلين عن الله، المكذبين بالآخرة، ومنهم المشركون الذين كانوا يواجهون رسول الله ﷺ بالاستكانة والتضرع عند مس الضر، فهو الدليل على الرجوع إلى الله، والشعور بأنه الملجأ والملاذ، والقلب متى اتصل بالله على هذا النحو رق ولان، واستيقظ وتذكر، وكانت هذه الحساسية هي الحارس الواقي من الغفلة والزلل، وأفاد من المحنة وانتفع بالبلاء"(١)، ويُدلل على الكلام السابق بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨] "قال الضحاك عن ابن عباس: "كل ما فيه (لو) فهو مما لا يكون أبدًا"(٢).

وفي سورة الأنعام يأتي الموضع الخامس، حيث وروده مرة واحدة في القرآن الكريم ﴿رَحِمَهُۥ﴾ والذي تمثله الآية رقم ١٦ بقوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ ففي هذه الآية يُبين الله تعالى: "أن النجاة من هول هذا اليوم غنيمة ليس بعدها غنيمة فقال: "مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ" أي: من يُصرف عنه عذاب هذا اليوم فإنه يكون ممن شملتهم رحمة اللّه ورعايته، وذلك

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/٢٤٧٦.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ١٣/١٧١.

هو الفوز الذي ليس بعده فوز، والضمير الذي يعتبر نائب فاعل ليصرف، يعود على العذاب العظيم الذي سيحل بالمجرمين يوم القيامة"[1]. هذه هي المواضع الخمسة التي وردت فيها لفظة الرحمة، أو إحدى مشتقاتها بصيغة الفعل الماضي، والتأصيل القرآني لها.

وأما ورود لفظة الرحمة أو إحدى مشتقاتها فعلًا مضارعًا: فقد جاءت بصيغة المتكلم والمخاطب والغائب، وبصيغة الإفراد والجمع، وبيان ذلك فيما يلي:

أول هذه الألفاظ لفظة ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ حيث تُعد الموضع السادس من مشتقات الرحمة في القرآن الكريم، نراها في سورة الأعراف آية رقم ٢٣ ترد مرة واحدة على لسان آدم وزوجه من خلال قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]، حيث جاءت هذه الآية على نسق طلب الدعاء من آدم وزوجته، وذلك بعد إقرارهما بالظلم لأنفسهما بعد الأكل من الشجرة، التي نهاهما الله عن الأكل منها، فنراهما يطلبان من الله ﷻ المغفرة والرحمة، وهذا دأب المذنب دائمًا سؤال الله ﷻ المغفرة والرحمة بعد الوقوع في الذنب. ومعنى الآية: "أي أضررناها بالمعصية "وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا" أي ما سلف "وَتَرْحَمْنا" أي بالتوبة وقبولها "لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ" أي: لنصيرن ممن خسر جميع ما حصل له من الكمالات. قال الضحاك بن مزاحم في قوله: «رَبَّنا ظَلَمْنا .... الآية» هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، ويقال: إن آدم عليه السلام سعِد بخمسة أشياء: اعترف بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وسارع إلى التوبة، ولم يقنط من الرحمة، وشقي إبليس بخمسة أشياء: لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يلم نفسه، ولم يتب، وقنط من الرحمة»[2].

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٤٩/٥.
(٢) محاسن التأويل، للقاسمي ٢٦/٥.

وفي الموضع السابع نرى قوله تعالى ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ على لسان سيدنا نوح عليه السلام يرد مرة واحدة في القرآن، وذلك حين يسأل الله ﷻ المغفرة والرحمة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود:٤٧]، وفي تعليق لصاحب كتاب السراج المنير على هذه الآية نراه يقول: «﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ﴾ أي: من أن ﴿أَسۡـَٔلَكَ﴾ في شيء من الأشياء ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ تأدبًا بأدبك واتعاظًا بوعظك ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ أي: الآن ما فرط مني، وفي المستقبل ما يقع مني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ أي: تستر زلاتي وتمحها وتكرمني ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ أي: الغريقين في الخسارة، فإن قيل: هذا يدل على عصمة الأنبياء لوقوع هذه الزلة من نوح عليه السلام؟ أجيب: بأنّ الزلة الصادرة من نوح إنما هي كونه لم يستقص ما يدل على نفاق ابنه وكفره؛ لأنّ قومه كانوا على ثلاثة أقسام: كافر يظهر كفره، ومؤمن يخفي إيمانه، ومنافق لا يعلم حاله في نفس الأمر، وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة، وحكم الكافرين هو الغرق، وكان ذلك معلومًا، وأما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفيًّا، وكان ابن نوح منهم، وكان يجوز فيه كونه مؤمنًا، وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للأب في حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله لا على كونه كافرًا، بل على الوجوه الصحيحة، فأخطأ في ذلك الاجتهاد، كما وقع لآدم عليه السلام في الأكل من الشجرة، فلم يصدر عنه إلا الخطأ في الاجتهاد، فلم تصدر منه معصية -وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، حيث إنهم يرون أن الأنبياء معصومون من الكبائر فقط، وليسوا معصومين من الصغائر، وهذ ما ندين لله ﷻ به- فلجأ إلى ربه ﷻ، وخشع له ودعاه، وسأله المغفرة والرحمة، لأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»[1].

أما لفظة ﴿تُرۡحَمُونَ﴾ فهي اللفظة الثامنة من مشتقات لفظة الرحمة،

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني ٢/٦١.

حيث وردت في القرآن الكريم ثماني مرات في سبع سور مختلفة، فمن ذلك سورة آل عمران بآيتها رقم ١٣٢، وسورة الأنعام بآيتها رقم ١٥٥، وسورة الأعراف بآيتيها رقم ٦٣، ٢٠٤، وسورة النور بآيتها رقم ٥٦، وسورة النمل بآيتها رقم ٤٦، ثم سورة يس بآيتها رقم ٤٥، ثم مِسك الختام بسورة الحجرات بآية رقمها ١٠، وبنظرة تأملية في هذه المواضع نرى أنها جميعًا جاءت بعد ذكر عدة أخلاق طيبة؛ حيث وردت آية آل عمران بعد الحديث عن الطاعة، ثم آية الأنعام وذلك بعد الحديث عن التقوى، ثم الموضع الأول من سورة الأعراف نراه يرد بعد الحديث عن الإنذار والتقوى، وكذلك الموضع الثاني يرد بعد الحديث عن الاستماع والإنصات للقرآن الكريم، ثم موضع سورة النور نراه يأتي بعد الصلاة والزكاة والطاعة، وآية النمل بعد الحديث عن الاستغفار، وآخر المواضع يأتي بعد الإصلاح بين المتخاصمين في ضوء سورة الحجرات.

فهذه عدة أخلاق طيبة يتخلق بها المجتمع المسلم من طاعة، وتقوى، واستماع وإنصات للقرآن، واستغفار، وإصلاح للمتخاصمين فتلكم الأخلاق كلها نرى ثمرتها الحقيقية المرجوة هي ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، والجملة تعليلية، أي: لكي ترحموا، فالرحمة هنا متوقفة على فضل الله ﷻ وإرادته وكرمه على عباده، حيث إن وجود هذه الأخلاق في النفوس يُعد أرضًا خصبة لنزول رحمات الله ﷻ على من يشاء من عباده.

والسر في ختم الآيات سالفة الذكر بالرحمة، وخاصة آية سورة الحجرات وضحه صاحب التحرير والتنوير حين قال: "وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين، وشأن تعامل الإخوة الرحمة، فيكون الجزاء عليها من جنسها"[1].

(١) ٢٤٥/٢٦.

ومما ينبغي ملاحظته كذلك أن لفظة ترحمون في أغلب المواضع دائمًا ما يسبقها أمر إلهي كالأمر بالتقوى أو الأمر بالطاعة، أو الأمر بالإصلاح..... إلى غير ذلك، فنلحظ أن لعل موضوعة للترجي أو للإشفاق، واقتران الرجاء بالأمر يفيد أن المؤمن ينبغي دائمًا أن يكون بين الرجاء والخوف، يخضع لأوامر الله ويستجيب لها، ويحذر المخالفة فيتجنب المنهي عنه، وهو في الوقت نفسه يطمع في كرم الله، فيرجو الفلاح، ويرجو رحمة ربه.

وفي الموضع التاسع جاء السياق القرآني مرة واحدة من خلال لفظة ﴿وَيَرۡحَمُ﴾ في رحاب قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾ في سورة العنكبوت٢١، وبنظرة تأملية في الآية المباركة نرى أنها جاءت بعد حديث الله ﷻ عن سيدنا إبراهيم وقومه ومن يعبدون إلهًا غير الله ﷻ، وبيان قدرة الله ﷻ في إيجادهم من عدم، ثم يلفت الله ﷻ الأنظار إلى أن عذابه ورحمته ﷻ لمن يشاء من عباده، وفي النهاية المرجع والمصير إليه وحده، ويلاحظ كذلك في هذه الآية أن الله ﷻ قدم العذاب على الرحمة هنا، وهي المسألة الأولى التي تحدث عنها الإمام الرازي، حيث قال ما نصه: " قدم التعذيب في الذكر على الرحمة، مع أن رحمته سابقة، كما قال ﷺ حاكيًا عنه "سبقت رحمتي غضبي"[1] فنقول: لأن السابق ذكر الكفار، فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقيه بحكم الإيعاد..... وذكر الرحمة وقع تبعًا لئلا يكون العذاب مذكورًا وحده، وهذا يحقق قوله: (سبقت رحمتي غضبي)، وذلك لأن الله حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يخصه في الذكر وحده، بل ذكر الرحمة معه»[2].

(١) أخرجه البخاري ك/ التوحيد، ب/ قول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ ٩/ ١٦٠، برقم (٧٥٥٣).
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/ ٤٢.

ونرى الموضع العاشر من مشتقات الرحمة، حيث وردت مرتين قط في القرآن الكريم في سورة واحدة بلفظ ﴿يَرْحَمَكُمْ﴾ الأولى في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء]، والثانية في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء:٥٤]، ونلاحظ الفرق بين الموضعين: أن الأول يتحدث عن بنى إسرائيل، ورحمة الله بهم بعد انتقامه منهم فإن عادوا مرة ثانية للمعصية أعاد الله عليهم عذابه وعقوبته، أما الموضع الثاني فيتحدث عن معاملة المؤمنين بالرفق واللين مع المشركين وذلك أثناء مخاطباتهم ومحاوراتهم، فذلك ألين لقلوبهم واستمالتهم للإسلام... ومعنى الآية: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ أي ربكم أيها الناس أعلم بمن يستحق منكم الهداية والتوفيق للإيمان ومن لا يستحق، فإن شاء رحمكم فأنقذكم من الضلالة، ووفقكم للطاعة والإنابة إليه، وإن شاء عذبكم، فلا يهديكم للإيمان، فتموتوا على شرككم..."[1].

ويستنبط هنا أن رحمة الله ﷻ ليست قاصرة على أمة معينة، وإنما كل أمة آمنت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا ورسولًا، فبفضل من الله ﷻ تنالها الرحمة من الرحيم الرحمن، ودليل ذلك أن بني إسرائيل لحظة ندمهم وتوبتهم تاب الله عليهم ورحمهم، وكذلك من رحمة الله ﷻ بالكافرين أن أمر المؤمنين بحُسن معاملتهم ومجادلتهم بالحسنى، وهذه هي أخلاق إسلامنا، التي نحن في أمس الحاجة إليها في واقعنا المعاصر.

وفي الموضع الحادي عشر نرى قوله ﴿يَرْحَمْنَا﴾ ذُكر مرة واحدة من خلال الآية رقم ١٤٩ من سورة الأعراف، التي يقول ربنا فيها: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي١٥/١٠٠.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف] وهذه الآية وردت على سبيل الإقرار بالخطأ والتقصير من بني إسرائيل، حينما عبدوا العجل، ورأوا أنهم قد ضلوا أنفسهم، وأضلوا غيرهم، ببُعدهم عن المنهج القويم، لعبادة الله وحده، فقالوا على سبيل الدعاء والندم والسؤال من الله ﷻ بطلب الرحمة والمغفرة منه ﷻ: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ والمعنى: لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته، ويتغمد بها ذنوبنا، لنكونن من الهالكين، الذين حبطت أعمالهم"[1].

وفي الموضع الثاني عشر الوارد مرة واحدة في القرآن الكريم ﴿سَيَرْحَمُهُمُ﴾ الذى تمثله سورة التوبة بآيتها رقم ٧١، وفيها قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة] ونلاحظ في الآية أن: "الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة، أتى بالسين التي تدل على الاستقبال: إن الله عزيز غالب على كل شيء، قادر عليه، حكيم واضع كلًّا موضعه"[2]، وعلة التعبير بالسين هنا أنها جاءت: «للمبالغة في إنجاز الوعد فالله عزيز لا يغالب، حكيم في أقواله وأفعاله»[3]. فأصحاب هذه الصفات هم من يستحقون الرحمة دون غيرهم من خلق الله ﷻ.

تلك سبعة مواضع لورود لفظة الرحمة أو إحدى مشتقاتها بصيغة الفعل المضارع، وذلك حسب ورودها في الآيات القرآنية الكريمة، والتأصيل القرآني لها.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ١٠/٤٤٩.
(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان ٥/٤٦٠.
(٣) فتح القدير، للشوكاني ٢/٤٣٥.

وأما ورود لفظة الرحمة أو إحدى مشتقاتها فعل أمر: فقد جاءت بصيغة المتكلم والغائب، وبصيغة الإفراد والجمع، وهاك بيان التأصيل القرآني لها فيما يلي:

ثم يأتي الموضع الثالث عشر ﴿وَٱرۡحَمۡ﴾ الوارد كذلك مرة واحدة في رحاب سورة المؤمنون بالآية الأخيرة منها ورقمها ١١٨ من خلال قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾، حيث ورد اللفظ هنا على سبيل الدعاء والطلب من الله ﷻ بالمغفرة والرحمة، فهو ﷻ خير من يرحم عباده، فلا راحم لهم غيره ﷻ، "والظاهر أن طلب كل من المغفرة والرحمة على وجه العموم له ﷺ ولمتبعيه، وهو أيضًا أعم من طلب أصل الفعل والمداومة عليه فلا إشكال، وفي تخصيص هذا الدعاء بالذكر ما يدل على أهمية ما فيه، وقد علّم ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول نحوه في صلاته، فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: " قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"(١) (٢).

لفظة ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ هي اللفظة الرابعة عشر، حيث وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاث سور مختلفة، هي سورة البقرة بآيتها الأخيرة منها رقم ٢٨٦، وسورة الأعراف بآيتها رقم ١٥٥، وسورة المؤمنون بآيتها رقم ١٠٩، فهذه المواضع الثلاثة، وردت بصيغة الجمع على سبيل الدعاء بألفاظ متقاربة، ففي البقرة ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾، وفي الأعراف والمؤمنون بلفظ واحد وهو ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا﴾ إلا أن تذييل الآيتين مختلف، ففي الأعراف ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾، وفي المؤمنون

(١) أخرجه البخاري ك/الآذان، ب/الدعاء قبل السلام ١/١٦٦، برقم (٨٣٤).
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي ٩/٢٧٠.

﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، ويلاحظ في المواضع الثلاثة أنهم اشتركوا في لفظتين، هي لفظة المغفرة، ولفظة الرحمة، ثم زادت البقرة لفظة ثالثة، وهي لفظة العفو، ويعلق صاحب الفتاوى على هذه الآية بقوله: إنهم: "سألوه العفو والمغفرة والرحمة والنصر على الأعداء؛ فإن بهذه الأربعة تتم لهم النعمة المطلقة، ولا يصفو عيش في الدنيا والآخرة إلا بها، وعليها مدار السعادة والفلاح، فالعفو متضمن لإسقاط حقه قِبلهم ومسامحتهم به، والمغفرة متضمنة لوقايتهم شر ذنوبهم، وإقباله عليهم، ورضاه عنهم، والرحمة متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان والعطف والبر، فالثلاثة تتضمن النجاة من الشر والفوز بالخير، والنصرة تتضمن التمكين من إعلان عبادته وإظهار دينه، وإعلاء كلمته، وقهر أعدائه، وشفاء صدورهم منهم، وإذهاب غيظ قلوبهم، وحزازات نفوسهم، وتوسلوا في خلال هذا الدعاء إليه باعترافهم أنه مولاهم الحق الذى لا مولى لهم سواه، فهو ناصرهم، وهاديهم، وكافيهم، ومعينهم، ومجيب دعواتهم، ومعبودهم"(١).

ثم يأتي الموضع الخامس عشر ﴿ٱرۡحَمۡهُمَا﴾، حيث ورد مرة واحدة بين ثنايا الآيات القرآنية في سورة الإسراء بآيتها رقم ٢٤ في سياق قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء]، وفي تعليق على هذه الآية نرى أن الله ﷻ أمر: "عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن يرحم كل ولد والديه كما رحماه، ويترفق بهما كما رفقا به، إذ ولياه صغيرًا جاهلًا محتاجًا، فآثراه على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاه، وتعريا وكساه، فلا يجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كان فيه من الصغر"(٢). هذه هي الرحمة الحقيقية

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤/١٤٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٠/٢٤٤(بتصرف).

التي يطلبها ربنا ﷻ من عباده تجاه الآباء والأمهات، ليتنا نلتزم بها في الأقوال والأفعال والسلوكيات، وذلك من خلال صيغة فعل الأمر الوارد ثلاث مرات بين ثنايا الآيات المباركة.

المبحث الثاني
التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها التي وردت بصيغة الاسم والمصدر

ونعني بذلك ورود لفظة الرحمة أو إحدى مشتقاتها اسمًا أو مصدرًا، سواء جاءت معرفة أو نكرة أو مضافة، أو جاءت بصيغة المتكلم أو المخاطب أو الغائب، أو جاءت بصيغة الإفراد أو الجمع، وهاك توضيح ذلك -بعون الله تعالى- فيما يلي:

من خلال الموضع السادس عشر، الذى تمثله لفظة ﴿رَحْمَةٌ، وَرَحْمَةً، رَحْمَةٍ﴾ بالحركات الإعرابية الثلاثة: الضم والنصب والجر، وقد وردت في كثير من آيات القرآن الكريم، وفي أغلب سوره وآياته.

وبالتأمل فيها نرى أنها وردت مع الصلاة تارة، ومع التخفيف تارة ثانية، ومع الرجاء تارة ثالثة، ومع الدعاء تارة رابعة، ومع معية الله ﷻ تارة خامسة، ومع المغفرة تارة سادسة، ومع لين الجانب تارة سابعة، ومع التفضل من الله ﷻ على عباده تارة ثامنة، ومع الهدى والبيان، ومع النجاة من الهلاك والدمار، ومع البشارة من الله ﷻ بالجنات لعباده المؤمنين، ورحمة الله ﷻ في إرسال الرسول الكريم للأمة، ولفت الأنظار إلى عدم اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ، ومع الرأفة تُذكر الرحمة فهما قرينان لا يفترقان أبدًا... إلى غير ذلك من المواضع القرآنية التي تدلل

على أصالة اللفظة -الرحمة- التي هي محل حديثنا واشتمالها على كل مناحي الحياة.

إن العبد ينبغي عليه أن: "يحمد ربه على هذه النعم، التي أخذها برحمة الله ﷻ في ربوبيته، ذلك أن الربوبية ليس فيها من القسوة بقدر ما فيها من الرحمة، فالله ﷻ رب للمؤمن والكافر، فهو الذي استدعاهم جميعًا إلى الوجود، ولذلك فإنه يعطيهم من النعم برحمته، وليس بما يستحقون، فالشمس تشرق على المؤمن والكافر، ولا تحجب أشعتها عن الكافر وتعطيها للمؤمن فقط، وهذا من رحمته، والمطر ينزل على من يعبدون الله ومن يعبدون أوثانًا من دون الله، وهذا من رحمته، والهواء يتنفسه من قال لا إله إلا الله ومن لم يقلها وهذا من رحمته، وكل النعم التي هي من عطاء الربوبية لله، هي في الدنيا لخلقه جميعًا، وهذا من رحمته، فالله رب الجميع من أطاعه ومن عصاه، وهذا من رحمته، والله قابل للتوبة، وهذا من رحمته"[1]... إلى غير ذلك من النماذج الدالة على رحمة الله ﷻ بكل مخلوقاته، التي دللت عليها الآيات القرآنية سالفة الذكر، والرحمة من الله صفة ثابتة له عز وجل، تليق بذاته تعالى، ومن الآدميين رقة وتعطف، حيث إن الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فوضع في طبائع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان.

ثم يأتي الموضع السابع عشر التي تمثله لفظة ﴿رَحْمَتِكَ﴾، حيث وردت ثلاث مرات في ثلاث سور مختلفة، حيث جاءت على سبيل طلب الدخول في الرحمة مرتين، وواحدة على سبيل طلب النجاة من القوم الكافرين، الأول منها في سورة الأعراف بآيتها ١٥١ وفيها يطلب سيدنا موسى من ربه ﷻ له ولأخيه هارون عليه السلام الدخول في رحمته ﷻ، فهو أرحم بنا من أنفسنا

(١) خواطر الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي ١/٥٤.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ [الأعراف]، أما الآية الثانية فهي على سبيل طلب النجاة أيضًا لسيدنا موسى وقومه من فرعون وبطشه، وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾، أما الآية الثالثة فهي على سبيل طلب الدخول في الرحمة من سيدنا سليمان عليه السلام، ففي سورة النمل رقم ١٩ يقول الله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ومعنى الآية: "أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي في أسمائهم، واحشرني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين، فإن قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين والأولياء، فما السبب في أنّ الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، وقد تمنى يوسف عليه السلام بقوله: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾ [الشعراء]، أجيب: بأنّ الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله سبحانه وتعالى، ولا يفعل معصية، ولا يهم بمعصية، وهذه درجة عالية، ثم إنّ سليمان عليه السلام لما وصل إلى المنزل الذي قصده، تفقد أحوال جنوده، كما تقتضيه العناية بأمور الملك، وهذا أدعى لطلب الدخول في الصالحين"[1].

ويستفاد من هذه الآية: أنّ دخول الجنة برحمته وفضله سبحانه وتعالى لا باستحقاق العبد، فمهما عمل المسلم من طاعات، فهي لا تؤدي به إلى الجنة، وإنما دخول الجنة بفضل الله ومنّه على عبده، يؤكد هذا ما روي في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة»[2].

(١) تفسير السراج المنير، للشربيني ٣/٦٢.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك/ صفة القيامة والجنة والنار، ب/لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ٤/٢١٧٠، رقم (٢٨١٦).

ثم يأتي الموضع الثامن عشر، وتمثله لفظة ﴿رَحْمَتِنَآ﴾، حيث وردت هذه اللفظة خمس مرات في ثلاث سور متتالية، ففي سورة يوسف بآية رقم ٥٦، وفيها قوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ والمعنى: "بعطائنا في الدنيا من الملك والغني، وغيرهما من النعم"(١)، وفي سورة مريم مرتين بآية رقم ٥٠، ٥٣ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ وفي كلتا المرتين نرى أن الرحمة وردت في سياق الهبة من الله ﷻ على سيدنا إبراهيم وأبنائه إسحاق ويعقوب، ولذا جاء التعبير بالضمير "لهم"، الذى يفيد الجمع، وكذلك الهبة تتمثل في جعل لسانهم متحليًا بالصدق على الدوام والاستمرار، أما الهبة الثانية فجاءت من الله ﷻ لسيدنا موسى عليه السلام، متمثلة في أخيه هارون عليه السلام فهارون كان هو الرحمة التي منّ الله ﷻ بها على موسى، ولذا جاء التعبير بالضمير "له" الذى يفيد الإفراد، ثم تأتي السورة الثالثة ألا وهي سورة الأنبياء، وفيها موضعان أيضًا: كلاهما بصيغة الدخول في الرحمة أحدهما مفرد أيضًا، والآخر جمع، المفرد يتحدث عن سيدنا لوط عليه السلام، ودخوله في رحمة الله فهو من الصالحين ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾، والثاني يتحدث عن جمع من الأنبياء يتفضل ربنا عليهم بإدخالهم في رحمته ﷻ من سيدنا نوح ثم داود ثم سليمان ثم أيوب ثم إسماعيل ثم إدريس فهم من الصابرين الداخلين في رحمة الله ﷻ حيث إنهم جميعًا من الصالحين ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾، وفي علة الوصف بالصلاح هنا أيضًا يعلق صاحب مفاتيح الغيب، فيقول: "أولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين، الذين صلحت أحوالهم عند الله ﷻ ورضيهم، واعلم أن الوصف بذلك غاية المدح، ويدل عليه القرآن والمعقول، أما القرآن: فهو أن الله ﷻ مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء عليهم السلام،

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي ١١٩/٢.

ومدح كذلك المؤمنين، حيث قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم:٤]، وأما المعقول فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون، فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالًا على أكمل الدرجات»[1]. وكأن سورة مريم اختصت بالهبة من الله ﷻ لعباده، وسورة الأنبياء اختصت بالدخول في الرحمة، ألا وهي الجنة -نسأل الله ﷻ أن نكون جميعًا من أهلها-.

وينتقل بنا الحديث إلى الموضع التاسع عشر، وتمثله لفظة ﴿رَحْمَتُهُ، رَحْمَتَهُ، رَحْمَتِهِ﴾ بالحركات الإعرابية الثلاث: الضم والنصب والجر، حيث وردت هذه الألفاظ الثلاث بين آيات القرآن الكريم وسوره، ما يقرب من خمس وعشرين مرة في تسع عشرة سورة على الترتيب: سورة البقرة مرتين، سورة آل عمران مرة واحدة، سورة النساء مرتين، سور الأعراف، والتوبة، ويونس، والإسراء، والكهف مرة واحدة، سورة النور أربع مرات، ثم سور الفرقان، والنمل، القصص، والروم، والزمر مرة واحدة، وسورة الشورى مرتين، وسور الجاثية والفتح، والحديد، والإنسان مرة واحدة[2]. وبالمرور على هذه المواضع، نرى أن منها ما يتحدث عن بني إسرائيل، ومنها ما يتحدث عن المؤمنين، ومنها ما يتوجه فيه الحديث للرسول الكريم ﷺ... إلى غير ذلك، فعلى سبيل المثال نرى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾، يتحدث عن بني إسرائيل، وفيه: "تصريح بما حباهم به ﷻ من رأفة بهم، وقبول لتوبتهم، وعفو عن خطيئاتهم، فكأن، ﷻ يقول لهم:

(١) مفاتيح الغيب ٨/٣٣٤.

(٢) يراجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ١/١٤٧ وما بعدها، ويلاحظ هنا أني أخذت نماذج فقط من التعليق على الآيات، وذلك منعًا للإطالة، وكذلك اقتصرت على أسماء السور ولم أذكر نص الآيات لعدم الإطالة في البحث.

إنكم بإعراضكم عن طاعتي، ونقضكم لعهدي، وإهمالكم العمل بكتابي، وعدم تأثركم بآياتي ونُذري، قد استحققتم غضبي وعذابي، ولكن حال دون حلولهما بكم فضلي الذي تداركككم، ورحمتي التي وسعتكم، ولطفي وإمهالي لكم، ولولا ذلك لكنتم من الخاسرين في دنياكم وآخرتكم، بسبب ما اجترحتم من نقض ميثاقكم، وبذلك تكون الآية قد ذكرت بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بما كان من أسلافهم من جحود النعمة، ونقض للعهد، وفي هذا التذكير تحذير لهم من السير على طريقتهم، ودعوة لهم إلى الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ"[1].

وفي آية ثانية نقرأ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى]، ومعنى قوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: "بركات الغيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب في كل مكان، من السهل، والجبل، والنبات، والحيوان، أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر وغيره، ﴿ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، الذي يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة، المستحق للحمد على ذلك لا غيره"[2].

وفي آية ثالثة نرى الله تعالى يقول: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص]، وبتعليق عليها يُرى أن من رحمته ﷻ بكم: «أيها الخلق تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما، فجعل لكم الليل ظلامًا للراحة والسكن والاستقراء وهدوء النفس من عناء العمل النهاري، وجعل لكم النهار مضيئًا، لتبصروا فيه منافعكم، وتحصلوا فيه معايشكم، وتتنقلوا فيه بالأسفار من بلد لآخر، ويمتلئ بالحركات والأشغال، بحثًا عن موارد الرزق، وقضاء الحاجات بأنس ومتعة، لا يتوافران في العمل الليلي، فتشكروا الله بأنواع العبادات

(١) التفسير الوسيط ١/١٦٠.
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة ٥/٢١٧.

ليلًا ونهارًا، على ما أنعم به عليكم من هذه النعم، دون أن يشاركه فيها شريك؟»[1].

هذه نماذج ثلاثة للفظة ﴿رَحْمَتُهُ، رَحْمَتَهُ، رَحْمَتِهِ﴾ بحركاتها الثلاثة: الضم والنصب والجر، والكلمات الثلاث نراها قد ختمت بضمير الهاء العائد على رب العزة ﷻ، فلا راحم للناس غير الله ﷻ، حيث إنه ﷻ وحده مصدر الرحمة في الكون كله.

أما الموضع العشرون، فيأتي في سياق قوله تعالى: ﴿رَحْمَتِي﴾ بياء الإضافة، وذلك في موضعين لا ثالث لهما، أولهما في سورة الأعراف بآيتها رقم ١٥٦ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الآية فيها «عموم، أي: لا نهاية لها، أي: من دخل فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل شيء من الخلق حتى إن البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها.

والثاني: في رحاب سورة العنكبوت بآية رقم ٢٣، وفيها قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ يلاحظ في هذه الآية أن الله ﷻ حصر اليأس من رحمته في طائفة من خلقه، وهي طائفة الكافرين، دون غيرهم، وهذا ما حذر منه سيدنا يعقوب أبناءه، حينما أمرهم بالبحث عن يوسف وأخيه، نراه أوصاهم بعدم اليأس من رحمة الله ﷻ، حيث قال لهم: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وفي تعليق على شاهدنا نرى أن الله تعالى: «بيّن مصير الكافرين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على وحدانيته وقدرته وعلى ذاته وصفاته، وكفروا أيضًا بالأدلة الدالة على ﴿لِقَائِهِ﴾ بأن أنكروا البعث والحساب والجزاء، ﴿أُولَئِكَ﴾

(١) التفسير المنير، للزحيلي ٢٠/١٥٤.

الذين كفروا بكل ذلك ﴿يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ أي: انقطع أملهم في رحمتي إياهم انقطاعًا تامًّا، وعبر ﷻ بالماضي لدلالة علمه التام على تحقق وقوع هذا اليأس، وفقدان الأمل عند هؤلاء الكافرين، وقت أن يقفوا بين يديه للحساب، بسبب كفرهم وسوء أعمالهم، وأضاف ﷻ الرحمة إليه للإشارة إلى سبقها لغضبه، وأنها تشمل عباده المؤمنين"[1].

﴿الرَّاحِمِينَ﴾ هي اللفظة الحادية والعشرون في سياق بحثنا، حيث وردت هذه اللفظة بين ثنايا الآيات القرآنية ست مرات في أربع سور قرآنية، ثلاث منها بلفظ واحد، وهو: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾في ثلاث سور، وهي سورة الأعراف بآيتها رقم ١٥١، حيث قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾، وسورة الأنبياء بآيتها رقم ٨٣، حيث قال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾، وسورة المؤمنون بآيتيها رقم ١٠٩، ١١٨، حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾، ومرة واحدة قال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾، وفي ثلاث آيات من هذه الآيات، نرى المغفرة تسبق الرحمة، كدأب القرآن الكريم دائمًا في عرضه للمغفرة والرحمة، إلا آية سورة الأنبياء نرى أن طلب الرحمة سبقه مس الضر، ومس الضر سبب من أسباب كونه ﷻ أرحم الراحمين، حيث علق الإمام الرازي على ذلك بقوله أما: «الدليل على أنه ﷻ: ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أمور: أحدها: أن كل من رحم غيره: فإما أن يرحمه طلبًا للثناء في الدنيا، أو الثواب في الآخرة، أو دفعًا للرقة الجنسية عن الطبع، وحينئذ يكون مطلوب ذلك الراحم منفعة نفسه، أما الحق ﷻ: فإنه يرحم عباده من غير وجه من هذه الوجوه، ومن غير أن يعود إليه من تلك الرحمة زيادة ولا نقصان من الثناء ومن صفات الكمال، فكان ﷻ أرحم الراحمين. وثانيها: أن كل من يرحم غيره فلا يكون

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي ١١/٢٦.

ذلك إلا بمعونة رحمة الله ﷻ، لأن من أعطى غيره طعامًا أو ثوبًا أو دفع عنه بلاء، فلولا أنه ﷻ خلق المطعوم والملبوس والأدوية والأغذية، وإلا لما قدر أحد على إعطاء ذلك الشيء، ثم بعد وصول تلك العطية إليه، فلولا أنه ﷻ جعله سببًا للراحة لما حصل النفع بذلك، فإذا رحمة العباد مسبوقة وملحوقة برحمة الله ﷻ، فوجب أن يكون ﷻ هو أرحم الراحمين. وثالثها: أن الله ﷻ لو لم يخلق في قلب العبد تلك الدواعي والإرادات لاستحال صدور ذلك الفعل عنه، فكان الراحم هو الحق ﷻ، من حيث إنه هو الذي أنشأ تلك الداعية، فثبت أنه أرحم الراحمين»[1].

ثم مرتين بلفظ ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ في سورة يوسف بآيتيها رقمي٦٤، ٩٢، ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾، ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ وهذان الموضعان نرى أنهما حدثا من نبيين كريمين من الأب ومن ابنه من يعقوب، حينما طلب إخوة يوسف أخاه بنيامين للذهاب معهم إلى مصر من أجل إحضار الطعام، فهو يذكرهم بخيانتهم بأخيهم يوسف، ولا يريد تكرار الحادثة مرة ثانية، فيجعل ابنه في معية الله ﷻ وحفظه، حيث يتولاه برحمته، والثانية من الابن وهو يوسف عليه السلام، وذلك حينما تعرف إخوته عليه، وطلبوا منه مسامحتهم بعد إقرارهم بذنبهم فقال لهم ما أخبرنا به القرآن: ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: "قال يوسف لإخوته على سبيل الصفح والعفو يا إخوتي: لا لوم ولا تأنيب ولا تعيير عليكم اليوم، فقد عفوت عما صدر منكم في حقي وفي حق أخي من أخطاء وآثام، وأرجو الله ﷻ أن يغفر لكم ما فرط منكم من ذنوب، وهو ﷻ أرحم الراحمين بعباده"[2]. والبداء بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ

(١) مفاتيح الغيب، للرازي ٢٢/١٧٥، ١٧٦.
(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي ٧/٤١٣.

لَكُمْ﴾: »بشارة بعاجل غفران الله، لما تجدّد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم»[1]. وهنا نرى أن كلًّا من يعقوب ويوسف عليهما السلام عبرا بالضمير «هو» العائد على الله ﷻ، فهو وحده من يتولى المغفرة والرحمة.

﴿الرَّحْمَنُ، الرَّحْمَنَ، الرَّحْمَنِ﴾ هي اللفظة الثانية والعشرون في سياق بحثنا، حيث وردت مرفوعة ومنصوبة ومجرورة، ما يقرب من سبع وخمسين مرة في القرآن الكريم[2] في كثير من آياته وسوره، وأكثر هذه المواضع نراها في رحاب سورة مريم، حيث وردت تلك اللفظة ست عشرة مرة، ولعل السر في ذلك أن سورة مريم تتحدث عن سيدنا عيسى وأحوال حمله وولادته وقصة أمه مع قومه، ونسبتهم سيدنا عيسى لله ﷻ ، حيث جعلوه ابن الله -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- فأراد الله ﷻ أن تكون لفظة الرحمن أكثر ذكرًا في هذه السورة دون غيرها للدلالة على وحدانيته ﷻ، وعدم اتخاذه صاحبة ولا ولدًا، هذا أمر. أما الأمر الثاني فيكمن في رحمة الله ﷻ بمريم وابنها في كونه، وُلد بغير أب، وعناية الله ﷻ به وبأمه، فناسب ذلك ذكر لفظة الرحمن هنا أكثر من غيرها.

ويمكن لنا أن نلاحظ في الألفاظ الثلاثة أنها برغم وجودها في القرآن لم ترد بعدد واحد من ناحية الشكل القرآني، فنرى لفظة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ترد مرفوعة إحدى وعشرين مرة، ولفظة ﴿الرَّحْمَنَ﴾ ترد منصوبة ثلاث مرات، ولفظة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ ترد مجرورة ثلاثًا وثلاثين مرة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نرى أن لفظة الرحمن اسم من أسماء الله ﷻ، مشتق من الرحمة، دال على كثرة الرحمة لعباده في الدنيا والآخرة، حيث إنها على وزن فعلان الدال على معنى المبالغة في الرحمة، وهو يطلق على صاحب الرحمة العامة الشاملة، التي شملت كل المخلوقات من إنسان، وحيوان،

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري ٢/٥٠٣.
(٢) هذا على رأي من قال: إن البسملة ليست آية من القرآن، إلا من سورة النمل، وفقط.

ومؤمن، وكافر، وصغير، وكبير... وغيرهم، وهو اسم خاص بالله ﷻ، ولا يُوصف به غيره، وهذا أحد الفروق بين لفظة الرحمن ولفظة الرحيم.

والرحمن كذلك: » الذي الرحمة وصفه، والرحيم: الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] ولم يجيء رحمان بعباده، ولا رحمان بالمؤمنين، مع ما في اسم «الرحمن» الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غضبان: للممتلئ غضبًا، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك؟ فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يُقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩] فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات؛ فلذلك وسعت رحمته كل شيء»[(١)].

أما الموضع الثالث والعشرون، فيتمثل في لفظ ﴿**الرَّحِيمُ، الرَّحِيمِ**﴾ بالرفع والجر دون النصب، حيث وردت هذه اللفظة بين آيات وسور القرآن الكريم ما يقرب من خمس وتسعين مرة، بالرفع في تسع وثمانين موضعًا، وبالجر في ستة مواضع فقط، بألف ولام تارة وبدونها تارة أخرى بداية من سورة الفاتحة ونهاية بسورة المزمل بآيتها رقم ٢٠، وبنظرة تأملية موضوعية لورود تلك اللفظة في القرآن الكريم، نرى أنها كثيرًا ما تُذيل بها الآيات القرآنية في أغلب المواضع، ويلاحظ كذلك أن هذا التذييل قد تنوع مع لفظ الرحيم، فتارة نرى التذييل القرآني بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في ست آيات، وتارة يأتي التذييل على هذا النسق القرآني ﴿ٱلتَّوَّابُ

(١) تفسير القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية ١/٣٦، ٣٧.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالألف واللام وبدون الألف واللام في سبع آيات أيضًا، وتارة ثالثة يأتي التذييل بهذا الشكل من خلال قوله تعالى ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذا التذييل هو الأكثر ذكرًا في القرآن الكريم، فقد ورد في اثنين وأربعين موضعًا، وقوله: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سبع مرات، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سبع مرات أيضًا، ثم ننتقل إلى تذييل آخر، ألا وهو ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ نراه يُذكر تسع مرات بإضافة اللام لرءوف تارة، وحذفها تارة أخرى، ثم يأتي قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فنراه يُذكر في ثلاث عشرة آية، ﴿ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾مرة واحدة، ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ مرة واحدة، ﴿رَبِّ رَّحِيمٍ﴾ مرة واحدة.

ويلاحظ أن الرحيم وصف لله ﷻ وللرسول الكريم، أما الرحمن فوصف خاص بالله ﷻ، حيث "روى السُّدِّي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾... الرحمن: المترحم على خلقه، الرحيم بعباده فيما ابتدأهم به من كرامته، ويروى عنه أيضًا أنّه قال: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان: أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن بمعنى المترحم والرقيق، والرحيم بمعنى المتعطف على خلقه بالرزق، وقيل في الجمع بينهما: إنَّ الرحمن أشد مبالغة، والرحيم أخص منه؛ فالرحمن لجميع الخلق، والرحيم للمؤمنين خاصة، قال محمد بن يزيد: هو تفضل بعد تفضل، وإنعام بعد إنعام، ووعد لا يخيب آمله"[1].

ونعيش الآن مع الموضع الرابع والعشرين والمتمثل في لفظ﴿رَحِيمًا﴾ حيث ورد هذا اللفظ في عشرين موضعًا في سور القرآن الكريم، بداية من سورة النساء بآيتها رقم١٦، وختامًا بسورة الفتح بآيتها رقم ١٤، ونلاحظ على هذه المواضع أن أغلبها ورد في سورة النساء، حيث ورد ١٠ مرات في السورة المباركة، ثم في سورة الأحزاب ٦مرات، وفي سورة الفرقان مرتين، وفي سورة الإسراء مرة واحدة، وفي سورة الفتح مرة واحدة، وبالتأمل في

(١) إعراب القرآن، للأصبهاني ١/٤.

هذه المواضع نرى أنها غالبًا ما تأتى بعد ذكر ذنب أو معصية أو إقرار بذنب، وإبداء توبة وندامة على ما مضى، فآية المحرمات مثلًا جاء ختامها بقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٢٣] «أي أن هذا الأمر ما دام قد سلف قبل أن يشرع الله، فهو ﷻ من غفرانه ورحمته لم يؤاخذنا بالقانون الرجعي، فلا تجريم إلا بنص، ولا عقوبة إلا بتجريم، وما دام الحكم لم يأت إلا الآن فيطبق من الآن»(١)، حيث ورد هذا الختام بعد الحديث عن المحرمات من النساء على الرجال، وآية أخرى نراها جاءت على هذا النسق في نفس السورة رقم١١٠ وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، إن المراد بالاستغفار هنا: «التوبة وطلب العفو من الله، عما مضى من الذنوب قبل التوبة، ومعنى ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يتحقق ذلك، فاستعير فعل يجد للتحقق، لأن فعل وجد حقيقته الظفر بالشيء ومشاهدته، فأطلق على تحقيق العفو والمغفرة على وجه الاستعارة، ومعنى ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ شديد الغفران وشديد الرحمة، وذلك كناية عن العموم والتعجيل، فيصير المعنى: يجد الله غافرًا له راحمًا له؛ لأنه عام المغفرة والرحمة، فلا يخرج منها أحد استغفره وتاب إليه، ولا يتخلف عنه شمول مغفرته ورحمته زمنًا، فكانت صيغة ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مع ﴿يَجِدِ﴾دالة على القبول من كل تائب بفضل الله»(٢)، وفي سورة الأحزاب نرى نموذجًا ثالثًا دالًا على نفس المعنى، الذى نرمي إليه من خلال قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أي: «في الآخرة إن شاء أن يعذبهم لم يوفقهم للتوبة، وإن لم يشأ أن يعذبهم تاب عليهم قبل الموت»(٣)، فهذه النماذج وغيرها نرى أن الله ﷻ حينما يأتي بالمغفرة والرحمة غالبًا ما يسبقها الذنب أو المعصية أو غيرهما...

﴿رُحَمَآءُ﴾ هي اللفظة الخامسة والعشرون في بحثنا وبنظرة سريعة نرى

(١) خواطر الشعراوي ٤/٢١٠٩.
(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للطاهر بن عاشور ٥/١٩٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٤/١٥٩.

أنها ذُكرت في موضع واحد في سورة الفتح بالآية الأخيرة منها ورقمها ٢٩، ألا وهي: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ يعلق صاحب الظلال على هذه الآية بقوله: «وتبدأ الآية بإثبات صفة محمد ﷺ صفته التي أنكرها سهيل بن عمرو ومن وراءه من المشركين ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ثم ترتسم تلك الصورة الوضيئة بذلك الأسلوب البديع، والمؤمنون لهم حالات شتى، ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة في حياتهم، ونقط الارتكاز الأصيلة في هذه الحياة، وتبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة في الصور الوضيئة، وإرادة التكريم واضحة في اختيار هذه اللقطات، وتثبت الملامح والسمات التي يصورها التكريم الإلهي لهذه الجماعة السعيدة: أن إرادة التكريم واضحة، وهو يسجل لهم في اللقطة الأولى أنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ أشداء على الكفار، وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعًا، رحماء بينهم، وهم فقط إخوة دين، فهي الشدة لله والرحمة لله، وهي الحمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة، فليس لهم في أنفسهم شيء، ولا لأنفسهم فيهم شيء، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها، يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها، قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى، ومن الانفعال لغير الله، والوشيجة التي تربطهم بالله"[1] هذه هي حقيقة المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالله ﷻ.

اللفظة السادسة والعشرون، ممثلة في قوله: ﴿بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ حيث وردت مرة واحدة في سورة البلد بآيتها رقم ١٧، وفيها ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ والمعنى: «أوصى ونَصح بعضهم بعضًا بالصبر على الطاعة، بالرحمة على الناس، أولئك الموصوفون بهذه الصفات، هم أصحاب الميمنة، وأصحاب طريق النجاة والسعادة»[2].

﴿الأَرْحَامُ، الأَرْحَامَ، الأَرْحَامِ﴾ هي اللفظة السابعة والعشرون بالرفع

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٣٣٢.
(٢) التفسير المنير، للزحيلي ٣٠/٢٤٩.

والنصب والجر، حيث ذُكرت هذه الكلمة تسع مرات في القرآن الكريم بألف ولام وبدون ألف ولام، ست منها تتحدث عن الرحم باعتباره العضو الخاص بالمرأة، وثلاث تتحدث عن صلة الأرحام باعتبارها قربة لله ﷻ ، أولها: سورة النساء بآية رقم ١: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ثانيهما سورة الأنفال آية رقم ٧٥: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، ثالثها سورة الأحزاب آية رقم ٦ ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾فهذه الآيات الثلاث فُهم من سياق حديثها: أن المقصود هنا هو صلة الرحم التي تعنى الإحسان إلى الأقربين والعطف عليهم، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم.

أما المواضع الست الباقية نراها تتحدث عن الرحم باعتبار الموضع، فيأتي في سورة آل عمران بآية رقم ٦، ثم سورة الأنعام بآيتيها رقمي ١٤٣، ١٤٤، ثم سورة الرعد بآية رقم ٨، ثم سورة الحج بآية رقم ٥، ثم سورة لقمان بآية رقم ٣٤، وفي تعليق على آية سورة لقمان نرى أنه: «قد تقرر أن الله ﷻ أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يُطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طُوي علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلًا عن غيرهما... ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:٣٤]، فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى؟ ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء،... ولما خصص هذه الأشياء عمم علمه بجميع الأشياء، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة: أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد؛ لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ١/٦٥٣(بتصرف).

أما اللفظة الثامنة والعشرون ﴿أَرْحَامَكُمْ﴾ نراها ترد مرتين: الأولى في سورة محمد بآية رقم ٢٢ من خلال قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾، والثانية في سورة الممتحنة بآية رقم٣: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾، وبدراسة لسياق الآية الأولى نفهم أنها تتحدث عن صلة الأرحام حيث إن الفساد في الأرض سبب من أسباب قطيعة الأرحام، حيث يعلق الإمام ابن كثير، فيقول: «قوله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي عن الجهاد ونكلتم عنه، ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾، وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر الله ﷻ بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال»[1]، أما الآية الثانية فتتحدث عن يوم القيامة وأهواله، وأنه لن ينفع أحد أحدًا، لا الأهل ولا المال، فيوم القيامة يوم الفصل والجزاء.

أما اللفظة التاسعة والعشرون فنراها تأتي في قوله ﴿أَرْحَامِهِنَّ﴾ في سورة البقرة بآية رقم ٢٢٨، حيث وردت هذه اللفظة مرة واحدة في قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، حيث تبين أن من علامات إيمان المرأة عمومًا والمطلقة خصوصًا عدم كتمان وإخفاء الحيض أو الحمل، إن كان هناك حيض أو حمل، ويقصد من الآية « أنه لما دار أمر العدة على الحيض والأطهار ولا اطلاع إلا من جهة النساء، جعل القول قولها إذا ادعت انقضاء العدة أو عدمها، وجعلهن مؤتمنات على ذلك، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/٢٩٣.

خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ ﴾، وقال سليمان بن يسار: لم نؤمر أن نفتح النساء فننظر إلى فروجهن، ولكن وُكل ذلك إليهن إذ كن مؤتمنات، ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الإضرار بالزوج وإذهاب حقه»[1].

أما قوله تعالى ﴿رُحَمَاءُ﴾ فهي اللفظة الثلاثون المتعلقة بمشتقات لفظة (الرحمة) حيث وردت مرة واحدة في القرآن في سورة الكهف بآيتها رقم ٨١، وفيها قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾ والمعنى: «أي يكون هذا البدل أقرب عطفًا ورحمة بأبويه، بأن يكون أبر بهما وأشفق عليهما»[2] بهذه اللفظة ينتهي الحديث عن المبحث الثاني والذى عنونت له بعنوان التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها، التي وردت بصيغة الاسم والمصدر، ونلاحظ أن هذا المبحث احتوى على خمس عشرة لفظة من ألفاظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم.

(١) الجامع لأحكام القرآن٣/١١٨.
(٢) مفاتيح الغيب٢١/٤٩٢.

المبحث الثالث
التأصيل القرآني لألفاظ الرحمة ومشتقاتها التي وردت بصيغة أفعل التفضيل

وبحصرنا لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم لم نجد إلا لفظة ﴿أَرْحَمُ﴾ -قط- التي وردت بصيغة أفعل التفضيل، حيث إنها اللفظة الحادية والثلاثون لمشتقات لفظة الرحمة، وبتفحص وتدبر لسور القرآن الكريم، نرى أنها ذُكرت أربع مرات في ثلاث سور، الأولى منها في سورة الأعراف بآيتها ١٥١: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾، وفي سورة يوسف مرتين بآيتيها ٦٤، ٩٢ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾، ثم في سورة الأنبياء بآية رقم ٨٣: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾، ويمكن لنا أن نقف مع الآيات سالفة الذكر وقفة، حيث نرى أن اثنتين منها جاءت بلفظ واحد، وذلك على لسان سيدنا موسى وأخيه هارون، والثاني جاء على لسان سيدنا أيوب، فكلاهما عبرا بضمير المخاطب ﴿وَأَنتَ﴾، أما الآيتان التاليتان، فوردتا بلفظ واحد أيضًا على لسان سيدنا يعقوب وابنه يوسف، حيث عبرا بضمير الغائب ﴿وَهُوَ﴾، فموسى وهارون وأيوب عليهم السلام طلبوا من الله ﷻ المغفرة والرحمة، وكشف الضر مباشرة، والتجأوا

إليه ﷻ بالدعاء، فعبروا بضمير الغائب، فلا وساطة بينهم وبين الله ﷻ في الدعاء، أما يعقوب ويوسف عليهما السلام فكان الحوار بين يعقوب وأبنائه تارة، وبين يوسف وإخوته تارة أخرى فعبرا بضمير الغائب ﴿وَهُوَ﴾ ،فهما يريدا أن يلفتا النظر إلى مدى حفظ ورعاية الله ﷻ ومغفرته ورحمته بمن أساء وعصى، وذلك بعد توبته وندمه، فهما لا يتحدثان إلى الله ﷻ مباشرة، وإنما حديثهما موجه إلى الأبناء، والتعبير بضمير الغائب هنا يُوجه على أنه ﷻ غائب عن الإدراك الحسي، الحاضر بعلمه وإرادته وقدرته، مشاهد بآلائه ونعمه ﷻ، وفي تعليق على دعاء موسى نرى أنه: "طلب المغفرة له أولًا ولأخيه ثانيًا، ليزيل عن أخيه ما خافه من الشماتة، فكأنه قد ندم مما فعله بأخيه، وأظهر أنه لا وجه له، وطلب المغفرة من الله مما فرط منه في جانبه، ثم طلب المغفرة لأخيه إن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم، وتغيير ما وقع منهم ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾، التي وسعت كل شيء ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فيه ترغيب في الدعاء، لأن من هو أرحم الراحمين، تؤمل منه الرحمة، وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح مطلبه"[1]. فلفظة ﴿أَرْحَمُ﴾ وردت بصيغة أفعل التفضيل أربع مرات في القرآن الكريم، حيث إنها اللفظة الوحيدة الواردة بهذه الصيغة.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان ٢٥/٥.

المبحث الرابع
التأصيل اللغوي لألفاظ الرحمة ومشتقاتها في ضوء المعاجم اللغوية

إن لفظة الرحمة من الألفاظ التي احتوت عليها كل المعاجم اللغوية، فهي لفظة أصيلة في القرآن الكريم، أصيلة في لغتنا العربية، لم يخل منها معجم من المعاجم اللغوية أبدًا.

فنراها تأتي بصيغة الماضي (رحم)، (رحمته)، (رحمنا)، (رحمناهم)، (رحمه) تارة بالإفراد وتارة أخرى بالجمع، وتفيد هنا الدعاء.

وترد كذلك بصيغة المضارع (ترحمنا)، (ترحمني)، (يرحم)، (يرحمكم)، (يرحمنا)، (سيرحمهم)، (ترحمون) وهذه الألفاظ فيها الدلالة على صيغة الاستقبال، الذى يعبر عنه الفعل المضارع والسين، وفيها أيضًا التعبير بالإفراد الدال عليه ياء الإضافة، وأيضًا التعبير بالجمع من خلال كاف الخطاب.... إلخ.

وترد ثالثًا بصيغة فعل الأمر (ارحم)، (ارحمنا)، (ارحمهما)، وهذا الأمر حينما يرد فهو طلب من الأدنى للأعلى، فيراد به الدعاء أو الرجاء أو المسألة[1]، وهذا من العبد لربه ﷻ، حيث ورد هذا الأمر من خلال المفرد، وكذلك من خلال الجمع للمخاطب.

(١) يراجع: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي ٣/ ٢٨٠

وترد كذلك لفظة (رحمة) معرفة تارة بألف ولام، وتارة أخرى بدون ألف ولام باعتبار المصدر، ونرى معناها الخير والنعمة ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ [يونس:٢١]، ومعناها أيضا الرزق[١] ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩﴾ [هود:٩]، وقوله كذلك ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء]، وتارة رابعة يأتي اللفظ مشتركًا، وسياق الجملة هو الذى يحدد المعنى المراد مثل لفظة (الرحم)، فهي من الألفاظ المشتركة، حيث إنها: «موضع تكوين الجنين ووعاؤه في البطن، والقرابة أو أسبابها (يذكر ويؤنث) (ج) أرحام، وذوو الأرحام الأقارب، الذين ليسوا من العصبة، ولا من ذوي الفروض: كبنات الإخوة وبنات الأعمام»[٢]، ونرى كذلك أيضًا لفظة من مشتقات (رحم) وتكون خاصة بالنساء وحدهن، حيث إن الضمير فيها عائد على النساء، وهو ما يفهم من سياق الحديث (أرحامهن).

وبنظرة لغوية إلى الفرق بين لفظ (الرحمن) ولفظ (الرحيم)، نرى أن الرحمن جاءت على وزن فعلان، والرحيم جاءت على وزن فعيل.

حيث إن: «صيغة فعلان تفيد الحدوث والتجدد، وصيغة فعيل تفيد الثبوت، فجمع الله ﷻ لذاته هذين الوصفين، إذ لو اقتصر على رحمن لظن ظان أن هذه صفة طارئة، قد تزول كعطشان وريان، ولو اقتصر على رحيم، لظن أن هذه صفة ثابتة، ولكن ليس معناه استمرار الرحمة وتجددها، إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرم فيها، وقد تمر على الرحيم أوقات لا يرحم فيها، والله ﷻ متصف بأوصاف الكمال، فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هي الرحمة، وأن رحمته مستمرة

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/ ٢٣٠.
(٢) لسان العرب، لابن منظور ١٢/ ٢٣٠، تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي٣٢/ ٢٣٠، المعجم الوسيط، تأليف/ مجموعة من الباحثين١/ ٣٣٥.

ومتجددة لا تنقطع، حتى لا يستبد به الوهم بأن رحمة الله ﷻ تعرض ثم تنقطع، أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه ﷻ، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه»[1].

هذه أهم الألفاظ المتعلقة بلفظة الرحمة ومشتقاتها ودلالتها اللغوية، التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على الجذور الثابتة لموضوع بحثنا، ومدى أصالته ومتانته في المعاجم اللغوية.

(١) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، للدكتور/ محمد محمد داود ص٤٤٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الرحمة المهداة، والسراج المنير الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

فبعد معايشة لمدة من الزمن ليست بالقصيرة مع موضوع بحثنا «الرحمة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية موضوعية» يمكن لنا أن نستنبط بعض ثمار هذه الدراسة، وتمثلها النتائج التالية:

أولًا: اشتمال القرآن الكريم على كل ما تحتاج إليه البشرية من أخلاق وعبادات ومعاملات، تسمو بالجانب الروحي داخل الإنسان هو في أمس الحاجة إليها.

ثانيًا: مدى أصالة لفظة الرحمة وكل مشتقاتها المتعلقة بها، سواء كان هذا في القرآن الكريم، أو في المعاجم اللغوية، فهي أصل أصيل لا خلاف في ذلك.

ثالثًا: كثرة المعاني الدالة عليها لفظة الرحمة ومشتقاتها، حيث تنوعت الكلمات وتعددت المعاني والعبارات مع أن الأصل واحد غير مكرر (رحم)، وهذا يُعد من إعجاز القرآن الكريم في استعماله للفظ القرآني الواحد بطرق شتى ومعاني متعددة.

رابعًا: ورود لفظة الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم خمس مرات بصيغة الماضي، وبصيغة المضارع سبع مرات، وبصيغة الأمر ثلاث مرات، وبصيغة الاسم والمصدر خمس عشرة مرة، وبصيغة أفعل التفضيل مرة واحدة فقط.

أما عن التوصيات فتتمثل فيما يلي:

أولًا: يوصى الباحث الجامعات عمومًا بأن تحذو حذو جامعة الملك سعود في عقد مثل هذه المؤتمرات، فهي سنة حسنة وفرصة طيبة للقاء العلماء والمفكرين والمثقفين، وفيها دلالة على مدى ترابط الأمة العربية الإسلامية وقوة مركزها.

ثانيًا: يوصي الباحث الجامعة خصوصًا أن تتبنى في المؤتمرات القادمة ولو على هامش المؤتمر تدارس -إن لم يكن مؤتمرًا مستقلًا- سلسلة الجانب الأخلاقي في الدين الإسلامي، فهذه المؤتمرات إحدى الوسائل الدعوية لبيان وتوضيح وأصالة أخلاقنا الإسلامية، التي أصبحنا في حاجة ملحة لها كحاجتنا للطعام والشراب، فمثلًا هذا العام الرحمة، يليه مثلًا الصبر، يليه مثلًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.... وهكذا.

ثالثًا: يوصي الباحث أبناء الإسلام بأن يترحموا فيما بينهم قولًا وسلوكًا وفعلًا، وذلك لكون الرحمة هي الأساس الذى أرسل الله ﷻ الرسول من أجلها، حيث لخص الله ﷻ رسالة رسولنا الكريم في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

رابعًا: دراسة الأخلاق الإسلامية من منظور جديد منظور التأصيل القرآني للفظة ومشتقاتها في سياق ورودها في الآيات والسور، وهذا المنظور قلما تجد من يهتم به في المؤتمرات والحوارات

العلمية، حيث إن القرآن الكريم دستور حياتنا، وعلى منهجه تسير أوطاننا.

خامسًا: إنشاء لجنة من جامعة الملك سعود تعكف على طبع ونشر سلسلة الأخلاق، لتكون زادًا للأمة الإسلامية عمومًا - والدعاة إلى الله خصوصًا- تستضيء بنورها، وتسير في ضيائها، فلا شك أن الماضي فيه أعظم الإفادة للمستقبل، وإلا لما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف-١١١].

هذه بعض النتائج والتوصيات، التي منّ الله ﷻ بها عليّ؛ فإن كنت قد وُفقت فهذا من فضل الله علي وعلى الناس، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله أن يرحمنا برحمته، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام/ أبي السعود العمادي محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون).

٢. إعراب القرآن، للإمام/إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، تقديم وتوثيق: د/فائزة بنت عمر المؤيد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام/محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبدالله المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، نشر: دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام/محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبدالله المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٥. بحر العلوم، للإمام/أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د/محمود مطرجي، نشر دار الفكر، بيروت، (بدون).

٦. البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام/ أبي عبدالله بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، نشر: دار الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٧. البحر المحيط في التفسير للإمام/أبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للإمام/أبي العباس أحمد ابن المهدي بن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، نشر: د/حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.
٩. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للإمام/محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، نشر: الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
١٠. تفسير القرآن العظيم، للإمام/أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
١٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام/محمد سيد طنطاوي، نشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى (بدون).
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام/محمد بن جرير أبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام/ محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري، تحقيق/محمد زهير ابن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٥. الجامع لأحكام القرآن للإمام/أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر: دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦. خواطر الشعراوي، للإمام/محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، نشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام/ شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٨. الزاهر في معاني كلمات الناس، للإمام/أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٩. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للإمام/شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، نشر: مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٢٠. فتح البيان في مقاصد القرآن، للإمام/أبي الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري (ت: ١٣٠٧هـ)، تقديم/عبدالله بن إبراهيم الأنصَاري، نشر: المكتبة العصريَّة، صَيدَا، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢١. فتح القدير، للإمام/محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام/أبي القاسم أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٢٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للإمام/أحمد بن محمد الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٤. في ظلال القرآن، للإمام/سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، نشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة: السابعة عشرة، ١٤١٢هـ.
٢٥. مجموع الفتاوى للإمام/تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز عامر الجزار، نشر دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٦. محاسن التأويل، للإمام/محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام/ أبي البركات عبدالله بن حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ) المعروف بتفسير النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم، للإمام/مسلم ابن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩. معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د/ محمد محمد داود، نشر دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للأستاذ/محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي دمشق.
٣١. المعجم الوسيط، تأليف/ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، تحقيق/ مجمع اللغة العربية، نشر: دار الدعوة.

٣٢. مفاتيح الغيب، للإمام/ أبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.